

## تجاوز عن المعسر يتجاوز الله عنك

بقلم / حسين بن قاسم القطيش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على طريقه ومنهجه، وعلى التابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين.  
أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يتصفوا بالصفات الحسنة، بل إنه يجازيهم على ذلك فعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **(كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ)** وفي رواية لمسلم: **(قال الله -عزَّ وجلَّ- نحنُ أحقُّ بذلكِ منهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ)**. إرواه البخاري ومسلم.

في هذا الحديث يذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - قصة تاجر ممن كان قبلنا، وأن هذا الرجل لم يكن يعمل عمل خير قط، إلا أنه بمخالطته للناس كان يداينهم، فمن كان منهم معسراً عند السداد كان يأمر فتِيانَه أن يتجاوزوا عنه، والتجاوز هذا إما أن يكون بالإعفاء عنهم بالكلية، أو بالتجاوز عن البعض، أو بحسن المقاضاة وهذا كله من باب التيسير، فلما توفاه الله - عزوجل - وأقامه بين يديه سأله يا عبدي هل عملت خيراً قط؟ قال العبد: لا. إلا أنني كنت تاجراً وكنت أداين الناس، وكان لي غلام أو فتيان أبعثهم يتقاضوا الدين الذي لي، وكنت قبل أن أبعثهم أمرهم أن يأخذوا ما تيسر وأن يتجاوزوا عن المعسر، لعل الله أن ينظر إلى عملي هذا فيتجاوز عني، كما أتجاوز عن هؤلاء المعسرين. فقال الله - عزوجل - وهو أعلم - سبحانه - بما كان يعمل هذا الرجل، نحن أحق بذلك منه وأمر الله ملائكته أن يتجاوزوا عنه، رحمة من الله وفضل - سبحانه وتعالى -.

فالمداينة والإقراض ومساعدة الآخرين والتجاوز عن المعسرين. خصلة حميدة، وصفة كريمة، قل أن تجدها عند تاجر المسلمين اليوم، فالبعض منهم إذا دايِن الناس، فأتى وقت السداد ولم يدفع ما عليه، تراه يغضب ويرعد ويزيد، فيُسمع به الناس وينشر سُمعة ليست طيبة بأن هذا رجل مماتل وأن على الناس أن ينتبهوا

له فلا يقرضوه، وهكذا ربما رفع به شكوى إلى المحكمة، وربما يطلب منهم أن يسجنوه، بل بعضهم يصل به الحد إلى أن يضربه أو يهينه فيشتمه ويسبه بين الناس، وهذه الأخلاق موجودة عند بعض تجار المسلمين والميسورين. فإننا لله وإنا إليه راجعون!! أين هؤلاء من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم-: **(ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة)**. وحديث: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُجِيبَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)**. [صحيح مسلم]. هل يريدون أن يبسر الله عليهم في الآخرة، فمن يسر على الناس في الدنيا يسر الله عليه يوم القيامة، والتيسير على الناس في الدين إما أن يكون "بتأجيل الدين ابتداءً أو بعد حلول الأجل الأول أو بتركه أو بالتصديق عليه". [حاشية السندي على ابن ماجه] فما أحوج التجار اليوم والميسورين من أبناء المسلمين إلى أن يتجاوزوا عن المعسرين، وخاصة والظروف الصعبة التي يمر بها أبناء المسلمين من الفقر والجوع، فالواحد منهم لا يملك قوت يومه هو وأهله فكيف له أن يسدد ما عليه من دين؟! فإذا لم يكن هذا التاجر متصف بصفة التجاوز والتسامح عن المعسرين فإن هذا المعسر سيقع في محنة عصبية؛ لأن هذا التاجر لا يرحم ولا يفكر في الآخر، بل لا يفكر في الآخرة ويتذكر الفضل العظيم والجزاء الجزيل الذي أعده الله لمن يسر على الناس في الدنيا، يوم يكون بأشد الحاجة إلى تجاوز المولى -عز وجل- عنه.

قال ابن حجر: ويدخل في لفظ التجاوز: الإنظار والوضعية وحسن التقاضي. [فتح الباري (٦/ ٣٩٠)].

وهذا نموذج من عصرنا الحاضر، اتصف بصفة التسامح والإقراض والتجاوز عن المعسرين، إنه الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، فقد ذكر عنه الشيخ علي بن عبد الخالق القرني -حفظه الله- في شريط الرضاب المعسول في جود الرسول، نقلاً عن مدير مكتب الشيخ ابن باز: أن الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله- كان يقرض الناس ثم يرسل لهم رسائل أنه قد سامحهم في الدين الذي عندهم، قال: وفي ذات يوم أقرض الشيخ ابن باز رجلاً سبع مائة ألف ريال سعودي، وبعد فترة من الزمن كتب الشيخ ابن باز له رسالة يخبره أنه قد عفى عنه وسامحه في هذا المبلغ. فهذه قلوبٌ نديّةٌ، وأنفسٌ سخيّةٌ، سخرها الله -تعالى- لتكون عوناً للفقراء، وتزول على يدها ملامح البؤس والشقاء، فكان

أصحابها كالنهر المتدفق عطاءً، يواسون الضعيف، ويهرعون لنجدته، ويتجاوزون عن المعسر، ويعينونه على دفع كربته، أولئك هم خيرة الخلق للخلق، وأحبّ الناس إلى الخالق.

فإنه -عزوجل- يجازي على حسب العمل وهذه سنة كونية فالجزاء من جنس العمل، فإنه -سبحانه وتعالى- قد تجاوز عن ذلك التاجر لتجاوزه عن الناس، وهكذا يجد كل عامل جزاء عمله، فإن عمل خيراً وجد مثله، وإن عمل شراً وجد عاقبة فعله، ومن زرع الشوك لن يجتني العنب.

وهكذا فقد جاء الكتاب والسنة يثبت ذلك، وبيينا أن الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: **{جَزَاءٌ وَفَاقًا}** أي: وفق أعمالهم، وهذا ثابت شرعاً وقدرأً. وقوله -تعالى-:

**{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}** [الرحمن: ٦٠]. والأحاديث في هذا كثيرة منها: قوله

- صلى الله عليه وسلم -: **{احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ}** [سنن الترمذي]، وحديث: **{مَنْ نَقَسَ**

**عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ**

**يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ**

**فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}** [صحيح مسلم]. وحديث: **{إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ}** [رواه

البخاري ومسلم]، وحديث: **{إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا}** [صحيح مسلم].

وغيرها من الأحاديث الدالة على أن الجزاء من جنس العمل.

فتجاوز عن المعسرين أخي الميسور، إما بالمسامحة، أو بالتقاضي الحسن، أو

بتأخير الأجل فإن ذلك عمل عظيم يجازيك الله عليه يوم العرض الأكبر، يوم تكون

بأشد الحاجة إلى تجاوز الرحمن عنك، ويوم أن تكون بأشد الحاجة إلى رحمت الله

ومغفرته وعفوه.

اللهم اجعلنا من عباد المتقين، واجعلنا من الذين ييسرون على المعسرين، وتجاوز

عنا يوم الدين يا ربنا يا رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين،،،